

دور نظرية الأفقية الذهنية في بناء الخطاب الشعري (قصيدة إلى أمي لمحمود درويش أمودجا)
The role of the theory of mental horizons in the construction of poetic
discourse (Poem to my mother by Mahmoud Darwish as an example)

ط. د: فضيلة الزين سايح¹ / د: باديس لهويل²
SAYAH Fadila Zine¹ / Lehouimel BADIS²

مخبر اللسانيات واللغة العربية LLA2

جامعة محمد خيضر بسكرة، ص ب 145 ق ر، 7000 بسكرة (الجزائر)

Mohamed Kheder University Biskra (Algeria)

fadilazine.sayah@univ-biskra.dz¹ / b.lehouimel@univ-biskra.dz²

تاريخ النشر: 2024/12/02	تاريخ القبول: 2024/10/16	تاريخ الإرسال: 2024/09/15
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة دور نظرية الأفقية الذهنية في بناء الخطاب الشعري، ومن خلالها نعيد قراءة الأبنية اللغوية وتفسيرها عن طريق ربط وتركيب مجموعة من الأفقية الذهنية منها ما تعلق بالمعتقدات والثقافات والتصورات الذهنية، فنظرية الأفقية الذهنية تبحث في كيفية إنتاج المعنى وتأويله ضمن ما يعرف بالأبنية اللغوية المتفاعلة والمتراطة فيما بينها لتكون لنا إنتاجا لغويا منسجما ومتكاملا. وعليه: ما مفهوم نظرية الأفقية الذهنية؟؟ وماذا نقصد بالخطاب الشعري؟ وأين تجلت الأفقية الذهنية في قصيدة (إلى أمي) لمحمود درويش؟

الكلمات المفتاح: نظرية الأفقية الذهنية، خطاب شعري، تصورات ذهنية، أبنية لغوية.

Abstract :

This study aims to investigate the role of Mental Spaces Theory in constructing poetic discourse. By employing this theory, we can re-read and interpret linguistic structures through the interconnection and integration of a set of mental spaces related to beliefs, cultures, and cognitive perceptions. Mental Spaces Theory explores how meaning is produced and interpreted within

^{*} فضيلة الزين سايح . fadilazine.sayah@univ-biskra.dz

interacting and interconnected linguistic structures, resulting in a coherent and integrated linguistic output. Consequently, this study seeks to answer the following questions: What is Mental Spaces Theory? What is meant by poetic discourse? And how are mental spaces manifested in Mahmoud Darwish's poem "My Mother"?

Keywords: Psychological theory, poetic discourse, mental perceptions, linguistic structures.



1. مقدمة :

ركزت اللسانيات العرفية على الدّهن وآليات اشتغاله وعوامل بناء الخطابات خاصّة الشعريّة منها إذ أعطى هذا العلم اللساني من خلال نظرية الأفضية الذهنية خطأ وافرًا "للمعنى" الذي أهملته الدراسات السابقة وفصلته عن بقية الأبنية اللغوية، وتعتبر نظرية الأفضية الذهنية الأمّ الروحية للخطاب فهي تبني علاقات فضائية لغوية كانت أو تصوّرية أو مقامية تنتج من خلاله الخطاب ويتم تأويله بناء على مجموعة من الأفضية الذهنية.

جاءت نظرية الأفضية الذهنية لنفض الغبار عن المعنى وتكامله مع بقية الأبنية اللغوية، واستثمار الأفضية المتنوّعة في تكوين أجزاء الخطاب والبحث عن دلالاته من منتج النص إلى تأويله من طرف المتلقي، تبني هذه النظرية "جيل فوكونيائي" متأثرا بنظرية العوالم الممكنة ليتجاوزها اعتمادا على نتائج علم النفس العرفاني، وعليه مما سبق نطرح بعض الإشكالات في هذا الموضوع: ما مفهوم نظرية الأفضية الذهنية؟ وما هي أهم أنواعها؟ وما معنى الخطاب الشعري؟ وكيف استثمرت نظرية الأفضية الذهنية في قصيدة محمود درويش (إلى أمي)؟، نحاول الإجابة عن هذه التساؤلات في الدراسة التالية:

2. اللسانيات العرفية Cognitive Linguistics:

هي تسمية عامة تطلق على تيار أو حركة تجمع عددا من النظريات التي تشترك في الأسس والمنطلقات، وتختلف هذه النظريات في البناء والتوجهات والمجالات التي تعنى بتكوينها وتأسيس مناهجها، وهي تنقسم إلى اتجاهين كبيرين هما: (الأنحاء الإدراكية والتحو التوليدي في آخر تطور له "البرنامج الأدنوي أو الأدنوية"). واللسانيات العرفية ترتبط بعلوم إدراكية من حيث برامجها ومفاهيمها العامة كعلم النفس المعرفي والأنثروبولوجيا والذكاء الاصطناعي.¹

✓ وعرفت اللسانيات العرفية على أنها العلم الذي يجيب عن الأسئلة الآتية:

✓ - كيف نفكر؟

✓ - كيف تمثل العالم من حولنا؟

✓ - كيف نكتسب المعلومات ونخزنها ونوظفها؟

✓ وذلك من خلال علم النفس العرفاني الذي يتقاطع مع علوم مختلفة كالسيبيرنطيقا وعلوم الدماغ والفلسفة وعلم الحاسوب والأنثروبولوجيا واللسانيات وغيرها من العلوم العرفية.

ويفسر "لايكوف" Lakof مفهوم اللسانيات العرفية في قوله (علم العرفانية حقل جديد يجمع ما يعرف عن الذهن في اختصاصات أكاديمية عديدة: علم النفس واللسانيات والأنثروبولوجيا والحاسوبية، وهو يقدم أجوبة مفصلة على بعض الأسئلة: ما هو العقل؟ وكيف نعطي لتجربتنا معنى؟ وما هو النظام المفهومي وكيف ينظم؟ هل يستعمل البشر النظام المفهومي نفسه؟² وغيرها من الأسئلة التي من خلالها نصل إلى علم ممنهج له قواعده وأسسها ونظرياته ويمكن تطبيقه على مجال اللغويات.

نستنتج من التعريفين السابقين أن اللسانيات العرفية علم إدراكي حديث يشتغل على ما يسمى بالتصورات الذهنية وطريقة اشتغالها في الدماغ، وكيف توظف في الحياة اليومية؟، وذلك بتوظيف اللغة التي تعتبر موطن لها والخصن الذي ترعى فيه وتنكأثر، ويسهم في بناء هذا العلم وتأسيسه مجموعة من الاختصاصات المعرفية كعلم الأعصاب والفلسفة والأنثروبولوجيا وعلم الحاسوب واللسانيات؛ فهو علم متكامل برزت فيه العديد من النظريات اللسانية العرفية: نظرية التحو العرفاني، ونظرية الطراز ونظرية المزج المفهومي، ونظرية الافضية الذهنية وهي النظرية التي اخترنا دراستها في عرضنا هذا.

3. علاقة الفضاء باللسانيات:

ارتبط الفضاء في مجال اللسانيات العرفية بالذهن؛ فهو غير مجرد كما هو الحال في العلوم الفيزيائية، فمناطه التفكير الذهني وكيفية بناء المعارف فيه، وهذا ما جعل أصحاب الاتجاه العرفاني يبحثون في ماهية الفضاء³ وطرق تشكله والعلاقات التي تربط الأفضية ببعضها البعض، وكما أن اللسانيات تبحث في اللغة وتشكلها في الواقع من الكلام العادي إلى اللغة الراقية من (نثر، شعر). ولحاجة الماسة لمعرفة الأفضية الذهنية التي تتشكل بها هذه الخطابات الشعرية أصبح لها نظرية ومنهج خاص طبقت على الكثير من الانتاجات اللغوية الحديثة، وظهر رواد لهذه النظرية منهم "لافكار" وغيره؛ فإذا: ما هو الفضاء الذهني؟ وماهي أهم أنواعه؟ وكيف تجلّ ذلك في الخطابات الشعرية؟.

4. مفهوم الفضاء الذهني:

يتركب مصطلح "نظرية الأفضية الذهنية" من لفظتين هما الفضاء والذهن:

أ - الفضاء (space): ترد هذه اللفظة في كثير من المجالات العلمية كالهندسة والفلك والعلوم الفيزيائية، وأصبحت في العصر الحديث ترد في العلوم الإنسانية خاصة منها العلوم اللغوية (اللسانيات العرفية) لتدل على المكان أياً كان اتساعه.

ويعرف الفضاء في اللسانيات العرفية على أنه "مجال تصوري أساسي يستخدم في نظرية الاستعارة التصورية، والتحو العرفاني، ومقاربة النظام التصوري ومبدأ تعدد المعاني"، ويتألف مجال الفضاء من وقائع ويمكن أن تكون مكاملة أو متمايزة ومواقع تشغلها هذه الوقائع، ويستمد هذا المجال خصائصه من الأفكار النفسية المحورية للإدراك التي توفرها التجربة الحسية ومنه تسهل فهم التصورات الذهنية لبيئتنا الفيزيائية.

ب - الذهنية: تنسب هذه اللفظة إلى الذهن الذي يمكن أن نفهمه بناء على التصورات الفلسفية التي سعت على تحديد ماهيته وطبيعته، فالذهن: هو شبكة من العمليات الصورية المجردة التي تتم على مستوى الدماغ وتعمل على تصوّر العالم الخارجي المادي.⁴

وعليه فإن الفضاء الذهني: هو جملة المعلومات المتعلقة بالمعتقدات والأشياء وينتكون من عناصر وليس من الضروري أن تكون تلك العناصر مراجع (في المعنى السوسيري)، ويمكن أن يكون الفضاء حال من أحوال الأشياء في الكون (تطابق كلي أو جزئي، والتطابق يكون بين خصائص العناصر المتطابقة)، ويمكن أن يمثل الفضاء الذهني عالماً متخيلاً فليس من الضروري أن يكون خاضعاً للتقييم العقلي.⁵ فقد يكون منبعه التصورات الذهنية المركوزة في الدماغ.

5. نظرية الأفضية الذهنية (Mentalspaces Theory):

هي نظرية نفسية عرفانية للساني الفرنسي "جيل فيكوني" Fauconnier تعبر عن فكرة طبيعية حدسية. ألا وهي أن مختلف مظاهر بنية الجملة (المعجمية والتحوية) تنشئ "أبنية عرفية" تساعد على تنظيم معالجة المعنى في الجمل المنفصلة وتدقيق المعلومات بين الجمل في الخطاب الطويل؛ ومن هذه الأبنية اللغوية العرفية: الإسقاط الاستعاري، والنظام والأطر، والأدوار وتشكلات الرسم والأرضية، والتوال والتداولية والمجازية العقلية والخطاطات العرفانية والمناويل الثقافية.⁶

إنّ نظرية الأفضية الذهنية تبحث في العلاقة بين الدلالة والإدراك وتنطلق من تفسير الظواهر المتواترة الموجود في الخطاب، سعياً لإقامة نظرية أوسع في علاقة اللغة بالإدراك يتم فيها الكشف عن الاتصال ما بين التحو والتجربة في جميع المستويات وما يكون به بنا الواقع والتجربة والتعبير عنها عند الإنسان باعتماد على المنطلق اللغوي.⁷

وترى نظرية "فوكوني" أن اللغة بناء لغوي ذهني مجرد لفضاءات وترابطات بين الأفضية، تتكاثر كلما استدعتها عملية التواصل، مما يدل أن النظرية وضعت لإعطاء وجهة نظر جديدة في تحليل اللغة وإنتاجها ذهنيًا.⁸

ويمكن القول مما سبق أن نظرية الأفضية الذهنية هي إحدى النظريات اللسانية العرفية رائدها اللغوي "جيل فوكاني" التي تبحث في الفضاء الذهني وعلاقته بالدلالة، وتفتح هذه النظرية على مجموعة من الأبنية التي يتشكل منها الخطاب من تصورات ذهنية وثقافات ومقامات التي يتمكن من خلالها المخاطب والمتلقي من الاهتداء إلى دلالة النص.

6. مبادئ الأفضية الذهنية:

1.6 مبدأ الإحالة:

لقد تفتن "فوكوني" إلى مبدأ الاهتداء للدلالة عن طريق السياق في قوله: (لظاهرة متواترة في الخطاب تحيل العبارة على معناها أو مرجعها إحالة غير معهودة إذ لا يمكن تفسيرها بمدخل معهودة: من ذلك ما يمكن سماعه في بعض المطاعم من تسمية الزبون بما طلب أو مأكّل أو شرب من قبيل: طبق الأرز، يريد بعض من الملح؛ بحيث يطلق طبق الأرز على شخص يتناول الأرز وهكذا)، ويتم تأويل المعنى على المكان الذي حدثت فيه عملية التلفظ، وكذلك طبيعة الخدمات المقدمة في تلك الأماكن، فالمعنى هنا يفهم عن طريق السياق وينسب الفعل إليه وتتغير الدلالة من سياق إلى آخر.

2.6 مبدأ الروابط العرفية:

أ- الربط بالاهتداء:

يشير "فوكوني" إلى تنوع بين العوالم، فننتقف عوالم ممكنة وأخرى مستحيلة انطلاقاً من فكرة استعمال اللغة ويكون منشوداً للتعبير عن أشياء موجودة بالفعل، ويصرّح "الازهر الزناد" أن اللغة تمثل إحدى تجليات النظام المفهومي الكامن في بناء المعنى، مما جعل بنيتها تعكس بنية الفضاء الذهني، فبناء المعنى في الخطاب قائم لا محالة على تراتيب المفاهيم. بدءاً بالفضاء الأساس كوضعية انطلاق إلى فضاء بؤري مثل تمثل الحادثة بين مجموعة من الأفضية الذهنية التشكلات الداخلية للفضاء الواحد، عن الاهتداء طرفي الرسالة الكلامية ينتج عنه توليد أفضية ذهنية ينجم عنها تأويل بناء عن العناصر المكونة للخطاب مما ينجم عنه العديد من الدلالات المتنوعة في البنية الواحدة.

يذهب "فوكوني" إلى أن البنية اللغوية تعكس بكل دقة مظاهر الإدراكية البشرية ومن أدلة ذلك قدرة المتكلم على تسمية الأشياء باعتماد ترابطات إدراكية متصلة بالتجربة الإنسانية تمكن السامع من الاهتداء إلى المرجع المقصود دون ذكره بمسمياته المتعارف عليها.

ويعرف "فوكوناي" مبدأ الاهتداء: يمكن للعبارة الواحدة تسمى وحدة معلومة من مجال ما. أن تجري للإحالة على وحدة أخرى من مجال آخر، تسمى الوحدة الأولى (قادحاً) والثانية (هدفاً) عملية الإحالة اهتداء، ويشترط في هذه العملية أن يكون المجال الثاني مما يمكن الاهتداء إليه إدراكياً من المجال الأول، وأن يكون الترابط بين القادح والهدف بأداة أو قرينة ظاهرة.⁹

ب- الربط بالتطابق:

ويتم هذا الربط عن طريق انشاء روابط بين وحدتين في سياقات متباعدة من الزمان أو في المكان وتعتبر الوحدتين متطابقتين أو تمثلان الشيء نفسه، ويضرب الدكتور "الأزهر الزناد" مثالا عن ذلك بالتعرف عن شخص في سياقين مختلفين زمائياً ومكانياً من خلال بعض الملامح المشتركة بين الصورتين رغم البعد الزماني والمكاني عن الحدث الأولي.

ج- العالم الواقع والعالم الافتراضي:

* العالم الافتراضي: هو العالم المتصور يبنى على أساس أن الذات تتبني مقدرة عرفانية على تمثل الذات للكون، الذي يكون حقيقياً بانياً لعالم الواقعي، أو متصوراً من مشاريع التمني، الترحي أو الشرط من قبيل "لو كانت لي قدرة مادية لا اشتريت سيارة فاخرة"، فالتمني في هذه الحالة ينقل الفرد من عالمه الواقعي الى عالم متخيل ليعالج به ما هو مفقود في عالمه الأول، ويمكن أن يتكلم الإنسان عن عالمه الافتراضي والمتخيل في الواقع فينقل ذاته من التصور الذهني إلى الواقع ويمكن بهذا الافتراض أن يتحقق على أرض الواقع.¹⁰

لا يمكن أن نعالج الدلالة خارج السياق أو المقام أو المدونة اللغوية، فالخطاب ينتج عدد غير متناهي من الأفضية الذهنية التي يهتدي بها المتلقي لتأويل المعنى وإنتاج خطاب جديد بناءً عن الأفضية الذهنية السابقة وذلك عن طريق بناء أفضية مخالفة للأولى ولكن منبثقة منها، وهكذا يصبح للمكون الثاني صورة جديدة تبنى منها صوراً أخرى عبر مجموعة من الأفضية الذهنية.

7. أنواع الأفضية الذهنية:

تنشأ الفضاءات الذهنية نشوء فورياً أثناء الكلام وتتعدد وتناسل، فالفضاء الذهني بنية إدراكية تتشكل وتنظم وتترابط فيها الأبنية اللغوية، وتنوعت الأفضية الذهنية كل حسب مجاله وهي كالآتي:

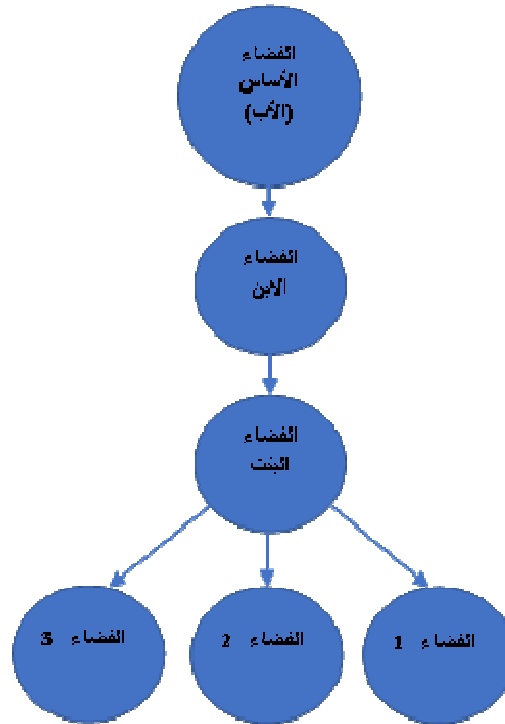
1.7. الفضاء الذهني الأساسي أو البؤرة (الأب): هو الفضاء الواقعي موجود في العالم الحقيقي، كل ما يعرفه المتكلم والسامع على هيأته الواقعية وهي مستمدة من التجربة والمقام.

2.7. الفضاء الذهني الابن: هو الفضاء الافتراضي أو المتخيل وهو المتولد من الفضاء الأساس ينتقل إليه ذهنياً.¹¹

وتتكاثر من خلال الفضاءين السابقين مجموعة من الأفضية الذهنية تربطها علاقات وتصورات ذهنية ولغوية تسعى كلها للوصول إلى الدلالة الحقيقية من الخطابات.

3.7. الفضاء البنت: هو الفضاء الذي ينتج عن فضاء الابن ونستطيع من خلاله بناء مجموعة من الأفضية الذهنية (فضاء أول وثاني وثالث... إلخ).

ونلتخص أنواع الأفضية الذهنية في المخطط التالي:



المصدر: من اعداد الطالبة سايج فضيلة الزين

8. آليات بناء الأفضية الذهنية:

تمثل الأفضية الذهنية سلماً فولادياً متين أساسه الأدراج التي يتكوّن منها فالأول يبنى عليه الثاني والثاني يبنى عليه الثالث، والثالث تنتج عليه مجموعة من الأدراج. وهكذا تبني الأفضية في الخطاب وتساهم في بنائها مجموعة من الآليات والأدوات نذكر منها ما يلي:

* يستعمل المتكلم مجموعة من المركبات اللغوية في إنتاجه للكلام (وحدات نحوية)؛ فهي تؤسس لمجموعة من الأفضية وتعرف في اللغة بـ (الأسماء والصفات والظروف والحروف، وما يعبر عن الزمان والمكان) وغيرها من الأدوات الافتراضية.

* تشغل بناء الأفضية في جميع أجزاء الخطاب، فإذا كانت في بدايته أسست فضاء ذهني أساسي ومنه تتأسس بقية الأفضية، وقد ينشأ الفضاء ويتأسس بأدوات غير لغوية من قبيل (الهيئة أو التصبية أو عناصر المقام) وغيرها من الأبنية غير لغوية.

* ومن بناء الأفضية الذهنية ما يعتبر أطر لحدث القول أو الكتابة، وهي عبارات تبنى عند السامع بفعل التعود تطلعا لعدد مخصوص من الأطر تجري فيها الأحداث وتوضع الأشياء، وذلك من قبيل الخرافات والخطب الدينية والمقالات والتحرير الصحفي والأخبار وغيرها.

* ومن الأدوات البانية للأفضية الذهنية أيضا (البسمة) وفوائح الخطب وأسماء الإشارة إلى المكان "هنا الجزائر، حدثنا عمر" أو "يروى عن" أو "ظنوا أن"، وغيرها من سلسلة الإسناد في الأخبار.

* ومن بين بواني الأفضية ما يعبر عن الإمكان (كالتمني والتوقع والالتماس وحروف الشرط "إن"، "لو") تبنى فضاء ذهنيا يكون فيه مضمون العبارة موجودا ولو ضمينا.¹²

وما سبق ذكره فإن الأفضية الذهنية تبنى من مجموعة من الأبنية اللغوية والغير لغوية وكلها تسعى إلى إنتاج عدد اللامتناهي من الأفضية التي من خلالها نصل إلى المعنى المبتغى الوصول إليه من طرف المخاطب أو تنبيه المتلقي ليولد لنا خطاباً جديداً وأفضية ذهنية مخالفة لما ذكر في الخطاب الأساسي الأول، ولعل أقرب مثال ما نستخدمه نحن كطلبة عند قراءة مقالات لما سبقنا في البحوث ومنها نكشف ونفك ونختزع أفكار جديدة وأفضية ذهنية حديثة لم يذكرها صاحب المقال الأصلي وهذا ما اصطلح عليه في اللسانيات العرفية بمبدأ الاهتداء.

سعت اللسانيات العرفية إلى تقديم نظريات منهجية علمية تخدم اللغة وتطورها ضمن استعمالها في أشكال التراكيب كالنثر والشعر، وتعد نظرية الأفضية الذهنية إحدى النظريات العرفية التي أعطت للخطاب حياة وتجديد من حين إلى آخر وذلك بتنامي الأفضية الذهنية من طرف المخاطب والمتلقي مما يساهم في فهم دلالات الخطاب وتأويله من طرف المتلقي الذي بدوره ينتج مجموعة اللامتناهية من الفضاءات التي تعتبر روحاً أخرى وبصورة مختلفة عن الصورة الأولى للخطاب.

9. الترابطات بين الأفضية:

ترتبط الفضاءات الذهنية بعضها البعض ويسقط بعضها الآخر، وذلك نتيجة اكتشاف أفكار جديدة لبناء المعنى إذ أن الفضاءات الذهنية مجموعة من العناصر والعلاقات تبنى فيها المجالات وترتبط فيما بينها.

ويقتر "فوكوني" على أهمية الترابطات فيقول: "إن فهم القواعد في سياق استخدامها بدلا من المصطلحات الهيكلية المستقلة البحتة سوف يعطي نظرة ثاقبة للتنظيم المعرفي" (الموسوي و مجيد، 2022) وينشأ الترابط بين الأفضية الذهنية عندما نفكر ونتكلم، وهكذا تتجلى حركية بناء الفضاء الذهني وديناميكية الربط بين الأفضية في العملية الكلامية، ولقد قسم "فوكوني" هذه الترابطات إلى ثلاث أنواع نلخصها كما يلي:

1.9. ترابطات الإسقاط:

تسقط ترابطات الإسقاط جزءا من بنية مجال ما على مجال آخر، فبعضها يستعملها جميع أفراد الثقافة مثلا "الزمن فضاء"، فنستعمل بنية من تصوراتنا اليومية للفضاء والحركة لتنظيم تصوراتنا اليومي للزمن مثل:

- اقتررب عيد الأضحى، الأيام تمضي بسرعة.
- الصيف قريب جدا.
- اليوم طويل.

كل هذه الإسقاطات الزمنية متجذرة في الثقافة والمعجم. وقد تنشأ أيضا ترابطات إسقاط المجال انشاء محليا في السياق الذي تدرك فيه تلك الترابطات لأنها تعتبر جزءا من الاستدلال المسترسل وبناء الخطاب.

2.9. ترابطات الدالة التداولية:

إن المجالان الملائمان اللذان ينشئان إنشاء محليا، والمعتاد أن يناسب مقولتين من الأشياء أسقط أحدهما على الآخر بالدالة التداولية، مثل ذلك (الموافقة بين المؤلفين والكتب التي كتبوها أو موافقة المرضى في المستشفى مع الأمراض لدى الذين يعالجونهم)؛ فنوع العلاقة هذه يلعب دورا كبيرا في بنية معرفتها الأساسية وتنوع الترابطات في الدالة التداولية منها: كناية الاحتواء، والمجاز العقلي... الخ.

3.9. ترابطات الخطاطة:

والتنوع الثالث من أنواع الترابطات هو الترابطات الخطاطة، وتكون حين نستعمل خطاطة عامة أو إطار أو منوال لبنية مقام في سياق، وفي النحو العرفاني لنفاكر تستدعي الأبنية التحوية والوحدات المعجمية خطاطات المعنى ويمكن لنا أن نرى بلورة تلك الخطاطات من خلال المراحل المتتالية في البناء التحوي باعتباره مجموعة من التوالفات الكائنة بين خطاطات مجردة.

إن الأفضية الذهنية كما ذكرها "لايكوف" Lakof عبارة عن مناويل عرفية مؤلفة، وهذا ما بعد صورة من صور الترابط الخطاطي.¹³

الترابطات بين الأفضية الذهنية مهمة جدا وأساسية في بناء الخطاب ولا يمكن الاستغناء عنها؛ فهي تنظم وترتب الأفضية داخل السياقات وتكشف عن المعنى المراد تحقيقه من طرف المحاطب وتنوّعت هذه الترابطات كما ذكرناها سابقا وهي ثلاث: ترابطات الإسقاط والخطاطة والدالة التداولية.

تتشكل الأفضية الذهنية عن طريق استعمال اللغة وتنشأ من خلالها انشاءً فوراً أثناء الكلام، وتسهم في بنائها جملة من الترابطات اللغوية كالأدوات التحوية والأظرفة الزمانية والمكانية والسياقات والتصورات الذهنية؛ فإذاً الفضاء الذهني بنية عرفية متكاملة تتوالى فيها الأفضية لتتقرب الفهم للمتلقى ويبني من خلاله أفضية جديدة تربطها علاقات ذهنية مع الأفضية الأخرى، وهكذا يتشكل لدينا ما يعرف بالخطاب الشعري العرفاني.

10. مفهوم الخطاب الشعري:

يعرف سعد مصلوح الخطاب يقول: "الخطاب هو رسالة موجهة من المنشئ إلى المتلقي تستخدم فيه نفس الشفرة اللغوية المشتركة بينهما، وتقضي ذلك أن يكون كلاهما على علم بمجموع الأنماط والعلاقات الصوتية والصرفية والتحوية والدلالية التي تكون نظام اللغة، أي (الشفرة) المشتركة، وهذا النظام يلي متطلبات عملية الاتصال بين أفراد الجماعة اللغوية، وتشكل علاقاتها من خلال ممارستها كافة ألوان النشاط الفردي والاجتماعي في حياتهم".¹⁴

إن هذا التعريف حصر الخطاب في الجوانب الصوتية والصرفية والتحوية مما يجعل منه كتلة هامة تتلف عبر الأزمنة، وهذا ما دفع باللسانيين العرفانيين بالتخلي عن هذه النظرة وتبني الجانب المعنوي للخطاب، وعرف الخطاب في اللسانيات العرفية على أنه "مجموعة من التصورات والتمثيلات الذهنية متعلقة بأحداث اجتماعية يعيشها الفرد،¹⁵

وتساهم في تشكيله جملة من الأفضية الذهنية التي مزجت بمجموعة من التخصصات منها الاجتماعية والثقافية والمعرفية والمقامية والتصورات المخزنة في الدماغ".

ويعرف "فوكونيائي" الخطاب العرفاني على أنه: سلسلة متعاقبة من التشكلات العرفية يؤدي السابق فيها إلى اللاحق، يملأ من السياق والمقام والعبارة اللغوية التي تدخل الخطاب في مرحلة "2" تفيد بناء تشكل جديد؛ بالشكل السابق في المرحلة "2"، وساهمت الأفضية الذهنية في تبلور هذا المنتج اللغوي بجملة جديدة.¹⁶

يختلف مفهوم الخطاب العرفاني عن الخطاب العادي؛ بحيث الأول تتحكم في إنتاجه جملة من الترابطات الذهنية كالتصورات والإدراكات التي تشغل في الدماغ ومجموعة من العلاقات اللغوية والعادات والثقافات والمقامات والسياقات أثناء بناء الخطاب؛ فهو تكامل معرفي يجسد باللغة ليتشكل منها العديد من الأفضية الذهنية التي تسعى إلى إبراز المعنى الحقيقي من كل مقول أو إنتاج أدبي.

11. تجليات الأفضية الذهنية في قصيدة (إلى أمي) لمحمود درويش:

قصيدة (إلى أمي) نظمها الشاعر الفلسطيني محمود درويش وهو في السجن الإسرائيلي، وقدّمها إلى أمه مثل فيها صورة الأم وعلاقتها بالأرض؛¹⁷ فربط محمود درويش خياله بالواقع يتمازج ما يدور من خلجات في صدره وما هو موجود على أرض الواقع وجسد في هذه القصيدة معاناة الشعب الفلسطيني والحرمان الذي يعيشه كل يوم وذلك عن طريق الترمز "الأم" التي ترمز للهوية الوطنية، وإن تمازج الأفضية الذهنية في هذه القصيدة أعطت للمدونة رونقاً وجمالاً وإقناعاً للمتلقى بالقضية الفلسطينية لبني من خلالها أفضية أخرى تنتج عنها عدة أفضية كالدفاع عن القضية الفلسطينية، امداد يد المساعدة من أكل وشرب وأدوية، وفي هذه الدراسة سنستخرج بقية الأفضية الذهنية التي تشكلت منها هذه القصيدة وهي كالآتي:

يقول الشاعر محمود درويش:

أحنُّ إلى خبز أمي
وقهوة أمي
ولمسة أمي...
وتكبرُ في الطفولة
يوماً على صدري يوم
وأعشقُ عمري لأني
إذا متُّ
أجلُّ من دمع أمي!¹⁸

تحتوي الأبيات السابقة على مجموعة من الأفضية الذهنية التي زادت المعنى جمالاً وجاذبية وهي كالآتي:

- الفضاء الأساس (الأب): "الحنين والشوق": فالشاعر من خلال كلماته يحنُّ إلى أمه وقهوتها ولمستها وكل الأمور التي عايشها معها المليئة بالحب والامتنان لها، واستخدم الشاعر فعل "أحنُّ" وهو فعل يدل على الاستقرار والتكرار لمثل هذه الأشياء، واستخدم محمود درويش حرف العطف "الواو" دلالة على تواتر وتكرار أزمته كل ما تفعله الأم في زمنه المحدد والمرتب وهذا ما ساهم في ترتيب الأفضية الزمانية في هذا المقطع.

- الفضاء الابن: "الحب والعشق": الشاعر يعشق عمره وأيامه التي يقضيها مع أمه وذلك لأنه يكره كل الأشياء التي تبكي أمه وتخزن قلبها، ولو كان ذلك موته، ووظف في ذلك أسلوب الشرط في "إذا مت".

ويقول محمود درويش في مقطع آخر من نفس القصيدة:

خذيبي إذا عدت يوماً
وشاحاً لهُدْيكِ

وعظي عظامي بعشب
تعمد من طهر كعبك
وشدي وثاقي ...
بخصلة شعر...
بخط يلوح في ذيل ثوبك...
عساني أصير إليها
إليها أصير
إذا ما لمست قرارة قلبك!
ضعيني، إذا ما رجعت
وقوداً بتنور نارك...
وحبل غسيل على سطح دارك
لأني فقدت الوقوف
بدون صلاة نهارك¹⁹

توجد في هذا المقطع العديد من الأفضية الذهنية نذكر منها ما يلي:

- الفضاء الابن "المناجاة": الشاعر يناجي أمه ويطلب منها أن تأخذه معه وتجعله كالوشاح الذي يوضع على رأس المرأة.
- فضاء البنت: "التغطية": طلب الشاعر من أمه أن تغطيه بعشب دلالة على الحنين إلى دفي حضنها. يتبع هذا الفضاء مجموعة من الأفضية هي كما يلي:
- فضاء 01: "التمسك والارتباط": حين قال: "شدي وثاقي" دلالة عن الارتباط المعنوي بأمه.
- فضاء 02: "الهشاشة والانهار": يلح الشاعر في آخر الأبيات على أمه بأن تضعه بين صدرها وداخل قلبها؛ لأنه انهار وهرم من شدة طول الفراق والبعد عن والدته.

وفي الأخير يقول:

هرمت، فردي نجوم الطفولة
حتى أشارك
صغار العصافير
درب الرجوع...
لُعش انتظارك!²⁰

لقد تجلت بعض الأفضية في هذه الأبيات منها:

- الفضاء البؤرة "الحنين": تلاشت روح الشاعر من فقدان أمه والبعد عنها، فهو يحن إلى طفولته ويتمنى أن يرجع إليها ليعانق أمه ويشم عطرها الجذاب، واستخدم في ذلك أسلوب الطلب " فردّي " لاسترجاع ذكرياته ليبدأ من ورعه وحزنه.

- الفضاء الابن: "اليأس": في الأخير يملئ الشاعر اليأس والإحباط لأنه لا يمكن الرجوع لتلك الأيام التي قضاه مع أمه لأنه تحت يد الاحتلال، وبرز ذلك من خلال أسلوب التعجب من طلبه بالرجوع وهو مكبل الأيدي والأرجل ومغلق عليه أبواب السجن "لعش انتظارك!".

مزجت في قصيدة "إلى أمي" مجموعة من الأفضية الذهنية التي صنعت منها لوحة رائعة من المفاهيم والدلالات، فقد استطاع الشاعر من خلال الأفضية أن يعبر عن كل ما يخالج في قلبه وذهنه من أفكار وتصورات (حب، شوق، حنين، حزن) وكلها أثارت عواطف في نفس المتلقي مما يدفعه إلى بناء أفضية جديدة حركها الأفضية الأولى، فيبدع هو الآخر في إنتاج خطاب شعري بصورة مخالفة عما وجد من أفضية في الخطاب الأصلي.

خاتمة:

من خلال ما سبق تم التوصل لبعض النتائج في هذه الدراسة نذكر منها:

- نظرية الأفضية هي وليدة اللسانيات العرفية تبحث في طريقة تشكيل المعنى وبناءه، وتبنى هذه النظرية "جيل فوكوني"، وترى هذه النظرية أن اللغة بناء ذهني مجرد لفضاءات وترابطات بين الأفضية مع تناميها خلال عملية التواصل.

- نظرية الأفضية الذهنية ضرورية لتشكيل الخطاب وذلك أن توالي الأفضية ينتج عنه نسق لغوي تربطه مجموعة من التصورات الذهنية والمعتقدات والثقافات والمقامات، فمن الفضاء الأساس ينتج فضاء الابن ثم فضاء البنت وفضاء أول وثاني وثالث إلى عدد غير متناهي من الأفضية.

- تربط الأفضية الذهنية مجموعة من العلاقات اللغوية منها: (الأسماء والصفات والظروف والروابط...الخ)، وهي وسائل تسهم في بناء الأفضية وترتيبها وتنظيمها داخل الخطاب.

- المجال الحاضن لنظرية الأفضية الذهنية هو الخطاب الشعري وفيه تنامي؛ لأنه تشكل التمثلات الذهنية ولغته ليست سهلة فهو خاضع لتأويل وبناء أفضية جديدة من طرف المتلقي فهو المؤلف الثاني له.

هوامش:

- ¹الأزهر الزناد، 2024، مدخل في اللسانيات الإدراكية (المجلد 02). دار الكتاب، ص22.
- ²سليمان أحمد عطية، 2014، الاشهار القرآني والمعنى العرفاني في ضوء النظرية العرفانية والمزج المفهومي والتداولية (سورة يوسف انموذجا). الأكاديمية للكتاب الجامعي، ص130-131.
- ³زهرة بوخاتي، 2021، نظرية الأفضية الذهنية. مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، (م4) ع9، ص226.
- ⁴جميدة مسعودي، وعبد العالي قبالي. (2022). نظرية الأفضية الذهنية في البحث اللساني العربي بين النظرية والتطبيق. مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، (م8). 1ع، ص342.
- ⁵الأزهر الزناد، 2024، مدخل في اللسانيات الإدراكية، ص219.
- ⁶محمد عبد الودود أبغش، 2018، نظرية الأفضية الذهنية (مبادئها وتطبيقاتها) (م1). تونس: يافا للنشر، ص39.
- ⁷الأزهر الزناد، مدخل في اللسانيات الإدراكية، ص210.
- ⁸جميدة مسعودي، وعبد العالي قبالي، المرجع السابق، ص343.
- ⁹الأزهر الزناد، 2011، النص والخطاب مباحث لسانية إدراكية (م02). دار الكتاب، ص261.
- ¹⁰زهرة بوخاتي، المرجع السابق، ص232.
- ¹¹الأزهر الزناد، مدخل في اللسانيات الإدراكية، ص220-221.
- ¹²الأزهر الزناد، النص والخطاب مباحث لسانية إدراكية، ص256-257.
- ¹³محمد عبد الودود أبغش، المرجع السابق، ص61-62-63.
- ¹⁴نور الدين السند، 2000، الأسلوبية وتحليل الخطاب (م1). سطيف، الجزائر: دار هومة، ص81.
- ¹⁵الأزهر الزناد، النص والخطاب مباحث لسانية إدراكية، المرجع السابق، ص74.
- ¹⁶محمد عبد الودود أبغش، المرجع السابق، ص40.
- ¹⁷خديجة بوطيب، وعبد القادر بوطيب، 2020، قصيدة إلى أمي لشاعر محمد درويش (دراسة فنية نقدية)، المجلة العربية مداد، (م4)، ص110.
- ¹⁸محمد درويش، 2005، الأعمال الأولى 1 (م1). بيروت، لبنان: رياض الريس، ص106.
- ¹⁹المرجع نفسه ص107.
- ²⁰نفسه، ص107.

قائمة المراجع

1. الأزهر الزناد، 2024، مدخل في اللسانيات الإدراكية (المجلد 02). دار الكتاب.
2. الأزهر الزناد، 2011، النص والخطاب مباحث لسانية إدراكية (م02). دار الكتاب.
3. جميدة مسعودي، وعبد العالي قبالي، 2022، نظرية الأفضية الذهنية في البحث اللساني العربي بين النظرية والتطبيق. مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، (م8). 1ع.

4. خديجة بوطيب، وعبد القادر بوطيب، 2020، قصيدة إلى أمي لشاعر محمد درويش (دراسة فنية نقدية)، المجلة العربية مداد، (4م).
5. سليمان أحمد عطية، 2014، الأشهار القرآني والمعنى العرفاني في ضوء النظرية العرفانية والمزج المفهومي والتداولية (سورة يوسف نموذجا). الأكاديمية للكتاب الجامعي.
6. زهرة بوخاتي، 2021، نظرية الأفضية الذهنية. مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، (4م) 9ع.
7. محمد عبد الودود أبغش، 2018، نظرية الأفضية الذهنية (مبادئها وتطبيقاتها) (م 1). تونس: يافا للنشر.
8. محمود درويش، 2005، الأعمال الأولى 1 (م 1). بيروت، لبنان: رياض الريس.
9. نور الدين السند، 2000، الأسلوبية وتحليل الخطاب (م 1). سطيف، الجزائر: دار هومة.